

عودة الإمام

فيصل بن تركي من مصر للمرة الثانية

المقدمة :

يعد الإمام فيصل بن تركي رحمه الله من الشخصيات البارزة في التاريخ السعودي ، وذلك لما واجهه ذلك الإمام من أحداث جسيمة أظهرت لنا جوانب القوة في شخصيته . ومن ضمن ما تعرضت له تلك الشخصية من أحداث : وقوعه في الأسر المصري مرتين ، وخروجه منهما سالماً .

مثل هذه الأحداث وغيرها تشد النفس للبحث وتمحيص ، زيادة على كون هذا الموضوع يتناول جانباً مؤثراً في التاريخ السعودي الذي ما زال بحاجة إلى كثير بحث وتمحيص ودراسة .

ولقد تناولت في دراستي هذه عدة مباحث حصرتها في ثلاثة محاور جاءت كالتالي :

التمهيد ، وتناولت فيه العناصر التالية : (نسب الإمام فيصل ابن تركي ، مولده ونشأته ، نبذة مختصرة عن مدة حكمه الأولى) .
المبحث الأول : تناولت فيه (أحداث الأسر وكيفية الإفلات

نايف بن علي الشراري*

* بكالوريوس تخصص التاريخ والحضارة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
- حاصل على السنة التمهيدية لرسالة الماجستير في التاريخ الإسلامي .
- يعمل الآن باحثاً متعاوناً في دارة الملك عبدالعزيز .
- له العديد من الأبحاث المنشورة وغير المنشورة .

منه)، وبالتحديد العناصر التالية : (الغزو المصري وأسر الإمام ، حال الإمام في مصر ، وأخيراً طريقة إفلاته من الأسر) .

المبحث الثاني ، وأسميته بـ (بشائر السعد) ، وتناولت فيه العناصر التالية : (الطريق من مصر إلى جبل شمر ، توليه الحكم للمرة الثانية ، ثم الخاتمة ، فقائمة المصادر والمراجع) منهيّاً بذلك هذه الدراسة .

أما المؤلفون الذين رجعت إلى مؤلفاتهم فهم كثيرون ، لكنني سوف أكتفي بذكر المهم منهم على حسب الترتيب الهجائي .

- ابن بشر : وهو عثمان بن عبد الله بن عثمان بن أحمد بن بشر . ولد في سنة ١٢١٠هـ في بلدة جلاجل، ثم انتقل إلى الدرعية سنة ١٢٢٤هـ، فتلقى العلم على علمائها ، وألف كتباً كثيرة منها : (سهيل في ذكر الخيل ، بغية الحاسب ، الإشارة في معرفة منازل السبع السيارة ، فهرس طبقات ابن رجب على حروف المعجم ، الخصائص ومبدأ النقائص في الطفيليين والثقلاء ، عنوان المجد في تاريخ نجد ، وهو من أوثق وأعدل ما صنف من تواريخ نجد ، وهو مصدرنا الذي نهلنا منه : مكتوب على النهج الحولي بدأه بذكر حوادث عام ١١٥٧هـ حتى عام ١٢٦٧هـ علماً بأنه توفي بعدها بـ ٣٢ سنة ، وقال في نهاية الجزء الثاني من كتابه : (ويتلوه - إن شاء الله - دخول السنة الثامنة والستين وفيها مغزا عبدالله بن فيصل على عمان...) ، ولا يعرف هل كتب ابن بشر فعلاً الجزء الثالث من كتابه أم لا ؟ والأغلب أنه كتبه لأنه أشار إلى مواضيعه ، كما أنه عاصر سنين تصل إلى ثلاث وعشرين سنة من سنوات الجزء الثالث ، لكن يبدو أنه فقد .

ويعود فيه ابن بشر إلى سنوات تصل إلى سنة ٨٥٠هـ تحت مسمى سابقة

وسوابق ، وتوفي ابن بشر في التاسع عشر من جمادى الآخرة عام ١٢٩٠هـ في بلدة جلاجل رحمه الله تعالى .

- بوكهارت : وهو جودهان لود فيج ، في كتابه مواد لتاريخ الوهابيين ، وبوكهارت من أبرز الرحالة الأوروبيين إلى البلاد العربية وأكثرهم دقة وإنصافاً ، وقد ولد في بلدة لوزان السويسرية سنة ١٧٨٤م ، وكان والده عقيداً في الجيش ، فاضطر إلى مغادرة بلاده حينما احتلتها القوات الفرنسية ، واستقر في ألمانيا .

وقد درس جوهان في ليبرج ، ثم في جامعة جوتنجن ، وتكونت لديه رغبة عظيمة في أن يصبح رائداً من الرواد المشهورين ، فانتقل إلى بريطانيا ، واتصل بالسير جوزيف بانكز عضو الجمعية الأفريقية التي كانت قد أرسلت عدة بعثات إلى منطقة النيجر انتهت كلها بهلاك أفرادها ، وعرض بوكهارت على تلك الجمعية قيامه برحلة إلى تمبكتو مع قافلة الحج العائدة إلى هذه البلدة من مكة ، وفي شهر مارس عام ١٨٠٩م غادر بوكهارت بريطانيا متوجهاً إلى جزيرة مالطة ، ثم إلى سويسرا ، وفي حلب درس اللغة العربية حتى أتقنها ، وكان من النجاحات التي حققها في بلاد الشام أن وصل إلى البتراء التي كان الأوروبيون تواقين إلى الوصول إليها والتعرف عليها . وفي عام ١٨١٢م توجه إلى القاهرة ، وفي عام ١٨١٤م أبحر بوكهارت من ميناء سواكن في السودان إلى جدة فمرض وأمدّه محمد علي ببعض المال ، ثم دخل بوكهارت مكة وقام بالترحال في الحجاز وغيرها من أرجاء الجزيرة العربية .

ولقد جاء ما دونه بوكهارت بالإنجليزية عن الجزيرة العربية والبلاد القريبة لها شمالاً في كتابين هما: رحلات في جزيرة العرب (Travels in Arabia , London

(1829 وملاحظات على البدو الوهابيين Notes on the Bedouins and Wahabys London , 1831) ، وهو الذي ترجم قسماً منه الدكتور عبدالله الصالح العثيمين ، وهو عبارة عن حياة البدو من حيث أسلوب المعيشة والعادات والتقاليد ، وهو أكثر التصاقاً بتاريخ الدولة السعودية ، ولقد اعتمد فيه بوكهارت - في كتابته عن الدولة السعودية - على القليل من المصادر المكتوبة والكثير من الروايات الشفهية .

- دحلان : أحمد بن زيني ، وكتابه : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام إلى وقتنا هذا بالتمام .

ويظهر من كتاباته تلك أنه في موقف المعارض لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، حيث نلمس منه جفاءً عند حديثه عنها ، فيعاملها معاملة الخصوم والأعداء . ونسخة الكتاب قديمة جداً أسلوبها مختلف يصعب التعامل معها .

- الرشيد : ضاري بن فهد ، وكتابه : نبذة تاريخية عن نجد ، أملاها هذا الأمير وكتبها وديع البستاني ، ولها عدة طبعات .

وهو مصدر عن الدولة السعودية الثانية ، والمؤلف ينتمي إلى أسرة آل رشيد الحاكمة في حائل وقت الدولة السعودية الثانية بعد أسرة آل علي ، حيث ولأهم على حائل الإمام فيصل بن تركي في عصر الدولة السعودية الثانية بعدما عزل أسرة آل علي سنة ١٢٥٠هـ وهو على النهج الموضوعي .

- أبوعلية : عبدالفتاح بن حسن ، وكتابه : الدولة السعودية الثانية .

وكتابه دراسة جادة لتاريخ فترة الدولة السعودية الثانية أضاف فيها الأستاذ الدكتور عبدالفتاح أبو عليّة بعداً تحليلياً لأحداث تلك الحقبة .

- ابن عيسى : - إبراهيم بن صالح ، وكتابه: تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (من ٧٠٠هـ إلى ١٣٤٠هـ) وبدأ المؤلف من سنة ٧٠٠هـ إلى سنة ١٣٤٠هـ وهو المؤرخ إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي ، وله كتابان : الأول : عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر ، وبدأ فيه المؤلف من سنة ١٢٦٨هـ ، حيث وقف ابن بشر ، فهو يعتبر تكملة له ، وهو على النهج الحولي ، وكتب حتى سنة ١٣٤٠هـ ، ويقال إنه ألفه بناءً على طلب من الملك عبدالعزيز رحمه الله ، كي يستكمل النقص .

أما الثاني فهو الذي ذكرته سابقاً ، وظل الكتابان مخطوطين إلى أن قامت دار اليمامة بطبع كتاب تاريخ بعض الحوادث طبعة منقحة أشرف عليها الشيخ العلامة حمد الجاسر رحمه الله .

وفي هذا الكتاب يذكر المؤلف تأسيس بلدان نجد ، ثم يذكر وفيات بعض أعيان البلاد في نجد مع ذكر موجز جداً لبعض الحوادث .

- الكولونيل لويس بيلي وكتابه : رحلة إلى الرياض في عهد الإمام فيصل بن تركي آل سعود ، مؤسس الدولة السعودية الثانية رحمه الله .

وكان لويس المقيم البريطاني في الخليج العربي ويتبع لحكومة الهند التابعة لوزارة الهند في لندن ، وكانت رحلته في عام ١٢٨١هـ أي قبل وفاة الإمام فيصل بن تركي بسنة ، وكان هدف رحلته هو معرفة نواحي الجزيرة العربية . ألقى عدة محاضرات ، ثم طبعت في كتاب بالإنجليزية ، وترجم الكتاب إلى عدة لغات حتى ترجمه الدكتور عبدالرحمن الشيخ وعويضة الجهني إلى العربية .

ولد لويس بيلي عام ١٨٢٥م ، وحضر بعض الحروب الأفغانية ، ثم عمل مقيماً في الخليج ، ثم عمل عضواً في الانتداب البريطاني حتى وافته المنية في عام ١٨٩٥م، وهذه الرحلة مهمة زاد من أهميتها الحقبة التي جرت فيها ، حيث الحرب الروسية البريطانية قائمة ، ونفوذ فرنسي بريطاني على منطقة الخليج ، وكانت الدولة السعودية في ذلك الوقت تبسط نفوذها على الساحل العماني ، ودانت لها كثير من المشيخات العمانية ؛ لذا اهتم البريطانيون بالدولة وحرصوا على عدم امتداد نفوذها إلى البحرين وأورد في بداية كتابه الوثيقة التي تبين أسباب قيامه بالرحلة .

- مؤلف مجهول : وكتابه : كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب .

من الواضح أن تاريخ هذا الكتاب سابق لتاريخ ابن بشر والفاخري ، ذلك أنه يتحدث عن أحداث أقربها لا يتعدى ما بعد مقتل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود ، بل إنه يتحدث أحياناً عن هذا الإمام بما يفيدنا بأنه كان معه على قيد الحياة، وقد جعل المؤلف عنوان كتابه : (كتاب تاريخ كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب) لكن حذف المحقق الدكتور عبدالله الصالح العثيمين الكلمتين الأوليين من العنوان لجعله أكثر سلاسة ، وقد قامت دارة الملك عبدالعزيز بطباعة الكتاب ونشره أول مرة عام ١٤٠٣هـ .

لم يذكر المؤلف اسمه ، ولم يبين هل هو الذي كتب هذه المخطوطة أم جعل أحداً يكتبها له ، ولم يشر حتى إلى مكانه ، ولم يضع قائمة للمصادر التي اعتمد عليها ، لكن يوجد شبه بين لغة الكتابة ولغة مؤرخي نجد في زمن الحقبة التي يتحدث عنها الكتاب ، كما أن الأسلوب فيه يشابه أسلوب القصص التي تروى شفهاً

بالعامية النجدية ، وتشير الكتابة إلى أن مؤلفها مؤيد لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وقد ورد ما يوحي بأن ذلك المؤلف تابع لقادة الدولة التي قامت على أساس تلك الدعوة ، ومن ذلك قوله عن الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود : (أطال الله لنا بقاءه) ، وقوله عن سعود بن عبدالعزيز : "... فكل هذه - يقصد مدناً ذكرها - لله الحمد والمنة تحت حكم سعود" .

ويلاحظ أن معلومات الكتاب عن شمالي نجد تفوق غيرها من المناطق ، ويلاحظ أن خطه مختلف عن خطوط النجديين الذين عاشوا تلك الحقبة التي يتحدث عنها الكتاب .

وختاماً أشكر الله العلي القدير ، الذي أعانني على إنجاز هذه الدراسة ، داعياً الله العلي القدير أن يكون فيها النفع الكثير إنه على كل شيء قدير .
هذا وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

نمهيذ :

- نسب الإمام فيصل بن تركي .

- مولده ونشأته .

- نبذة مختصرة عن فترة حكمه الأولى .

نسبه :

هو فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ^(١) فجدّه هو الإمام محمد

(١) ابن بشر : عنوان المجد في تاريخ نجد ؛ تحقيق الدكتور محمد بن ناصر الشثري - ط ٠١ - الرياض : دار الحبيب ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ج ٢ ص ٧٠ . في ترجمته للإمام تركي بن عبدالله والد الإمام فيصل .

ابن سعود - مؤسس الدولة السعودية الأولى - وينتهي نسبه إلى قبيلة بني حنيفة من وائل^(١) .

على أنه وجد في بعض المصادر من ينسب أسرة آل سعود إلى قبيلة عنزة^(٢) .

كما وجد من ينسبهم إلى ذهل بن شيبان من وائل^(٣) .

لكن يظهر لي من خلال الدراسة والمقارنة أنهم ينتمون إلى قبيلة بني حنيفة من وائل والأدلة على ذلك كثيرة ومنها :-

- ذكر ذلك ابن بشر مسنداً هذه الرواية إلى محمد بن سلوم عن راشد بن خنين قاضي الخرج^(٤) ، وابن بشر معاصر لآل سعود القدماء هو ومن أسند إليهم روايته .

- ذكر ذلك الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى^(٥) ، وهو أحد المعاصرين للملك عبدالعزيز رحمه الله ، وفي ذلك دلالة ، ونقلها عنه الدكتور عبدالله العثيمين^(٦) .

(١) ابن بشر : المصدر السابق ج ٢ ص ١٥ .

(٢) بوكهارت : مواد لتاريخ الوهابيين : ترجمة د. عبدالله العثيمين ، ط ٢ ، (د.م) ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م ص ١١ . فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب .

(٣) ومن هؤلاء سليمان الدخيل في مجلة : لغة العرب ؛ أمين الريحاني : تاريخ نجد وملحقاته . خير الدين الزركلي : الأعلام ؛ الشيخ عبدالعزيز خلف : دليل المستفيد . الشيخ أمين التميمي : شجرة نسب الملك عبدالعزيز . الدكتور منير العجلاني : تاريخ البلاد العربية السعودية - ط ٢ - الرياض : دار الشبل ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م ج ١ ص ٧٤ - ص ٧٦ .

(٤) عنوان المجد ج ٢ ، ص ١٥ .

(٥) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (٧٠٠ هـ - ١٣٤٠ هـ) - ط ١ - الرياض : دار اليمامة ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م ، ص ٣٦ .

(٦) تاريخ المملكة العربية السعودية ج ١ ، ص ٨٠ .

- رواية الدكتور منير العجلاني حيث يقول : "سألت صاحب السمو الملكي : الأمير الجليل عبدالله بن عبدالرحمن - أخو الملك عبدالعزيز - عميد أمراء آل سعود اليوم ، ومن أفقهم وأعرفهم بالتاريخ عن رأيه في نسبة آل سعود إلى عنزة ، فكان جواب سموه : "نحن حنفيون" (١) .

- قال الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى نظماً بعث به إلى الإمام عبدالله بن فيصل مع رسالة مطوّلة إبان اضطراب الأحوال في نجد وانشقاق عصى الطاعة .
... مطلعها :

متى ينجلي هذا الدجى والدياجر متى يرعوي للدين منكم عساكر
... ومنها :

وفتيان صدق من رجال حنيفة بأيديهم سمر القنا والبواتر
إلى آخر ماجاء في هذا النظم (٢) .
والشاهد هنا قوله : "من رجال حنيفة " وفي ذلك دلالة على صحة نسبتهم إلى بني حنيفة .

إذا فالمؤرخون يتفقون في نسب آل سعود إلى بني حنيفة ويختلفون فيما دون ذلك .

مولده ونشأته :

ولد الإمام فيصل بن تركي بالدرعية ، في بداية القرن الثالث عشر الهجري ، وقت أن كانت الدولة السعودية الأولى في أوج ازدهارها ، تحت قيادة الإمام

(١) تاريخ البلاد ج ١ ، ص ٧٧ .

(٢) ابن خميس : من القائل ٩ أسئلة وأجوبة في الشعر ج ١ ، ص ٧٢ .

عبدالعزیز بن الإمام محمد بن سعود ، مؤسس الدولة السعودية الأولى^(١) .

ونشأ فيصل نشأة كريمة تحت رعاية والده الإمام تركي بن عبدالله فحفظ القرآن عن ظهر قلبه وهو صغير ، وحافظ على تلاوته والتهجد به شاباً وكهلاً ، وكان يقوم الليل ، ويكثر من التضرع والابتهال لخالفه وباريه^(٢) ، فقد كان متديناً ، ذا إلمام بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف ، ميلاً للبحث والدراسة ، يجالس العلماء ويكرمهم^(٣) .

ولما شبَّ تعلم الفروسية، وتدرّب على استعمال السلاح^(٤) ، فشارك أبناء أسرته في الأحداث السياسية والعسكرية ، فحارب مع جيش سعود الكبير عندما توجه إلى مكة المكرمة سنة (١٢١٨هـ) وكان عمره وقتئذ لا يتجاوز سن الخامسة عشرة^(٥) .

ووقت حصار الدرعية ، كان شاباً فتياً يمتلئ حماساً وحيوية ، مما دفعه إلى الانضمام إلى صفوف المدافعين عن الدرعية في عام ١٢٣٣هـ ، وقاتل بشجاعة بالقرب من أبيه وأعمامه ، وظل يقاتل إلى أن أخذ أسيراً ، وحُمِل مع من حملوا إلى

(١) عبدالله بن حمد الحقيّل : الإمام فيصل بن تركي (الفترة الأولى ١٢٥٠هـ - ١٢٥٤هـ) الفترة الثانية (١٢٥٩هـ - ١٢٨٢هـ) الحرس الوطني ، ذو الحجة ١٤٠٩هـ ، يولية ١٩٨٩م ، العدد ٨٣ ص ٤٢ .

(٢) ابن بشر : عنوان المجد ج ٢ ، ص ٩٣ .

(٣) الدكتور عبدالفتاح أبوعليّة . الدولة السعودية الثانية - الرياض : مطبعة المدينة المنورة ، طبعة منقحة ومزيدة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨٠م ص ٣٣ .

(٤) عبدالله حمد الحقيّل : الدورية السابقة ص ٤٢ .

(٥) عبدالفتاح أبوعليّة : المرجع السابق ص ٣٣ .

مصر ، لكنه استطاع بعد عشر سنين الهرب من مصر^(١) .

وهذا هو أسره الأول ، وعن طريقة هروبه هذه ، وكيفيتها ، والظروف التي ساعدت على ذلك ، فإن المصادر حقيقةً في هذه الجوانب شحيحة ، غير أن الدكتور أبوعلية ذكر أن نجاح أبيه تركي واسترداده - ولو مؤقتاً - زعامة نجد كان عاملاً مشجعاً له على الهرب من مصر^(٢) .

لكن في رأيي - بناءً على ما ذكره أبو عليّة - أن أخبار نجد كانت تصل إلى فيصل ابن تركي في مصر ، وهذا يعني وجود أصدقاء له في مصر ربما يكون لهم دور في تمكينه من الهرب وربما كان والده هو الدافع لهؤلاء الذين ساعدوه^(٣) .

أما عن الطريق الذي سلكه فيرجح أنه سلك طريق البحر من مصر إلى الجزيرة العربية ، وذلك لأن ابن بشر أورد رواية تدل على ذلك حيث قال : " ... فمن ذلك : مخرجه من حبس الترك المرة الأولى ، ولطف الله به في خروجه من مصر ، وفي سفره في البر والبحر ، فلما وصل إلى أبيه استبشر به أعظم بشرى ، وعدها من ربه نعمة كبرى ... "^(٤) والشاهد من الرواية قوله " والبحر " حيث يشير إلى أن فيصلاً قطع البر والبحر حتى وصل إلى نجد .

ومنذ وصوله إلى الرياض أصبح الساعد الأيمن لأبيه الإمام تركي بعدما أعاد

(١) عبدالفتاح أبوعلية : الدولة السعودية الثانية ص ٣٤ ؛ دلال محمد سليمان السعيد : علاقات الدولة السعودية الثانية بمشيخات الخليج ، رسالة غير منشورة مقدمة لنيل درجة الماجستير ، ١٤٠٨هـ ص ٦٤ . غير أنها قالت : إنه مكث في مصر تسع سنوات .

(٢) عبدالفتاح أبوعلية : المرجع السابق ص ٣٤ .

(٣) ضاري الرشيد : نبذة تاريخية عن نجد ، كتبها وديع البستاني ، دار اليمامة ، الرياض ص ٣٤ .

(٤) عنوان المجد ج ٢ ، ص ٩٣ .

حكم آل سعود فشارك في إعداد وتنظيم ورسم الخطط وقيادة الجيوش ، وكان خير عون لوالده في تسيير الأمور السياسية والإدارية ، كما كان ينوب عنه في حالة غيابه عن العاصمة ، وقد أكسبته هذه الأعمال خبرة طويلة في الشؤون السياسية والعسكرية والإدارية^(١)، ومن هذه الأعمال التي قام بها : اشتراكه مع والده في حملة عام ١٢٤٤هـ قاصداً بها ناحية الوشم ، ثم قيادته بنفسه قوة موجهة إلى قبيلة عنزة في السنة نفسها^(٢) . كما قاد الجيوش السعودية المتجهة إلى الإقليم الشرقي في الأحساء ضد قبائل بني خالد سنة ١٢٤٥هـ ، واستطاع بفضل من الله ضم تلك المنطقة للدولة السعودية ، وذلك بعد قدوم الإمام تركي بقوة إضافية إلى الأحساء ساهمت في تثبيت الحكم السعودي فيها^(٣) .

وسار في عام ١٢٤٧هـ إلى عالية نجد ، لتأديب بعض العربان ، كما اتجه في عام ١٢٤٨هـ إلى إقليم العارض لتأديب بعض الجماعة هناك^(٤) .

نبذة عن حقبة حكمه الأولى :

لقد ظل الإمام فيصل بن تركي الساعد الأيمن لأبيه ، فتارة يقود الجيوش ، وتارة يساعد والده في الحكم ، ومن تلك الجيوش التي قادها : القوات السعودية التي توجهت إلى شرق الجزيرة العربية للقضاء على التمرد الذي قام به العماير^(٥) ،

(١) عبدالفتاح أبوعلية : مرجع سابق ص ٣٥ ؛ عبدالله بن حمد الحقييل : الحرس الوطني، ص ٤٢؛

دلال السعيد : المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٢) ابن بشر : المصدر السابق ج ٢ ، ص ٤٨ .

(٣) دلال السعيد : مرجع سابق ، ص ٦٥ .

(٤) ابن بشر : المصدر السابق ج ٢ ، ص ٦٠ .

(٥) العماير : من بني خالد الذين شقوا عصا الطاعة ، ووجدوا في " عبدالله بن أحمد " شيخ البحرين ، وابنه " مبارك " أمير قلعة الدمام خير عون لهم في تدعيم ثورتهم . الدكتور محمد عرابي نخلة: تاريخ الأحساء السياسي ، ذات السلاسل (د.ت) ص ٦٤ .

على أن طموح مشاري بن عبدالرحمن إلى الحكم ظل مسيطراً على مشاعره ، فاستغل فرصة ذهاب الأمير فيصل فدبر مؤامرة أدت إلى اغتيال خاله الإمام تركي ابن عبدالله ، واستيلائه على مقاليد الأمور سنة ١٢٤٩هـ^(١).

والوثائق البريطانية تجعل لعبدالله بن أحمد - شيخ البحرين - يداً في تحريض مشاري بن عبدالرحمن على فعلته تلك ، بدليل أن عبدالله بن أحمد وأعوانه تلقوا خبر مقتل الإمام تركي بن عبدالله بالفرح والسرور ، معبرين عن ذلك الفرح بإطلاق الرصاص في الهواء^(٢) .

عند وصول هذه الأخبار إلى الإمام فيصل بن تركي ، اجتمع بكبار قادة جيشه وأخبرهم الخبر فبايعوه بالإمامة وقرروا العودة إلى الرياض لاستعادة الحكم^(٣).

وبعد ثمانية عشر يوماً من قتل أبيه وصل الإمام فيصل إلى الرياض وحاصرها قرابة العشرين يوماً ، استطاع بعدها الإمام فيصل القضاء على مشاري ابن عبدالرحمن ، وتولى السلطة في العاصمة هناك^(٤) .

وبذلك تسلم فيصل الإمامة ، مستهلاً عهده بخطاب وزعه على كافة الأقاليم

(١) عبدالله الصالح العثيمين : تاريخ المملكة ج ١ ، ص ٢٢٣ .

(٢) محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٦٤ وص ٦٥ .

(٣) ابن بشر : عنوان المجد ج ٢ ، ص ٧٣ . وتدل روايته على أن الأمير عبدالله بن علي بن رشيد هو الذي أشار على الأمير فيصل بأن يعودوا إلى الرياض ، حيث قال : وكان ذا رأي وشجاعة ، يقصد الأمير عبدالله بن رشيد .

(٤) عبدالله الصالح العثيمين : تاريخ المملكة ج ١ ، ص ٢٧٣ و ٢٣٩ : محمد الفاخري : الأخبار النجدية : تحقيق د . عبدالله الشبل ، ص ١٧٢ .

النجدية ، حيث أوصى شعبه فيه بتقوى الله ، وترك المعاصي ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما ألزم كل أمير بأن يكون عوناً مع الشعب للخير ، وختم خطابه ذلك بالدعوة إلى الوحدة والتضامن بين أفراد الشعب ، لما فيه من المصلحة العامة والخاصة^(١) .

وبعد استقرار الأمور للإمام فيصل في العاصمة - الرياض - أقبل عليه أهالي القرى المجاورة وبايعوه ، ولم يختلف عليه أحد ، فأخذ يرتب القضاة في مراتبهم ، وبذلك استقرت له الأمور^(٢) .

وفي السنة نفسها ١٢٥١هـ عزل الإمام فيصل بن تركي صالح بن عبدالمحسن ابن آل علي^(٣) عن إمارة الجبل ، وعين عبدالله بن علي بن رشيد مكانه^(٤) ، الذي يعد النواة الأولى لنشأة إمارة آل رشيد في حائل .

عقب هذا النجاح الذي حققه الإمام فيصل بن تركي أخذ يعمل لحل المشكلة التي كانت قائمة في المنطقة الشرقية منذ أواخر عهد أبيه ، وفعلاً أتاحت له ظروف خصومه من آل خليفة ، أن يتوصل معهم إلى اتفاق تنازلوا فيه عن مناطق استولوا عليها في تلك المنطقة خاصة سواحلها ، وتعهدوا بدفع الزكاة إليه مقابل مساعدته لهم ضد أي عدوان يتعرضون له من الخارج^(٥) .

(١) ابن بشر : عنوان المجد ج ٢ ، ص ٩٦ ، و ص ٩٧ .

(٢) ابن بشر : المصدر السابق ، ص ٩٧ .

(٣) من قبيلة شمر التي كانت تحكم في جبل شمر .

(٤) ابن بشر : المصدر السابق ج ٢ ، ص ٩٩ . عبدالله العثيمين : تاريخ المملكة ج ١ ص ٢٤١ .

(٥) عبدالله الصالح العثيمين : تاريخ المملكة العربية السعودية ج ١ ، ص ٢٤١ : محمد عرابي نخلة :

تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٦٦ ، و ص ٦٧ .

المبحث الأول - " أحداث الأسر ، وطريقة الإفلات منه " :

- الغزو المصري وأسر الإمام فيصل .

- حال الإمام فيصل في مصر .

- طريقة خروجه من مصر .

الغزو المصري وأسر الإمام فيصل :

في الوقت الذي كان فيه الإمام فيصل بن تركي يعمل على توطيد نفوذه ، كان محمد علي باشا - والي مصر - في نهاية طريقه لتحقيق تكوين دولة كبرى ، حيث استولى على السودان والشام ، وعلى أجزاء من بلاد اليونان والأناضول ، وبما أنه مسيطر على أهم الأجزاء الواقعة في الجزيرة العربية ، أصبح عليه التزاماً الاستيلاء على باقي مناطقها^(١) .

فكيف عاود محمد علي التفكير في توسيع رقعة نفوذه لتشمل شبه الجزيرة

العربية بأكملها ؟

عقب نجاحه في الاستيلاء على بلاد الشام ، اتخذ من تنصيب خالد بن

سعود^(٢) - الذي تربى في مصر - حاكماً على نجد ، ذريعة لمد نفوذه إلى ذلك

الإقليم^(٣) .

وكان إشراكه لخالد بن سعود في هذه الحملة لإدراكه من خلال تجاربه

(١) عبدالله الصالح العثيمين : تاريخ المملكة العربية السعودية ج ١ ، ص ٢٤٢ .

(٢) هو خالد بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن . كان من أسرى

إبراهيم باشا . أحمد عسه : معجزة فوق الرمال - ط ٣ - المطابع الأهلية اللبنانية ،

١٩٧٢/١٩٧١م - ١٣٩٢/١٣٩١هـ ص ٣٦ .

(٣) عن الدكتور محمد مرسى عبدالله : وثائق القلعة ، الوثيقة ، مركز الوثائق التاريخية بدولة

البحرين العدد السادس عشر ، السنة الثامنة ، جمادى الآخرة ، ١٤١٠هـ ، ص ١٥ .

السابقة أن أكثرية سكان نجد - بالذات - كانوا يكونون موّدةً وولاءً لآل سعود ؛ لذا رأى أن أحسن وسيلة تسهل مهمته هي أن يضع على هذه الحملة رجالاً من الأسرة السعودية^(١) .

والحقيقة أن خشية محمد علي من قوة الإمام فيصل بن تركي ، واتساع دولته مستقبلاً جعله يسارع في هجومه هذا ، قبل أن يصبح ذلك عليه أمراً عسيراً ؛ لذا فإنه قام بتوجيه جهوده إلى إقليم نجد ، خاصة وأن تلك الحقبة شهدت اضطراباً قام به جند محمد علي في إقليم الحجاز ، ومنطقة عسير ، وفعلاً نجح محمد علي في القضاء على ثورة الحجاز وتمكن من السيطرة التامة على مكة المكرمة في عام ١٢٤٨هـ^(٢) . وبالنسبة لإقليم عسير ، فقد تولى الإمارة فيه وقتئذ عايض بن مرعي المفيدي^(٣) ، وكان ذلك في نهاية عام ١٢٤٩هـ ، وقد بايعه الناس بالإمارة ، واجتمعوا عليه .

هذا الأمر أزعج محمد علي، فرأى أن من واجبه إخماد هذه الإمارة ، وشجعه شريف مكة محمد بن عبدالمعين بن عون ، الذي كان يخاف خطر الدعوة السلفية على ذلك ؛ لذا نرى حملة موجهة إلى عسير يقودها شريف مكة ، وأحمد باشا يكن^(٤) - والي الحجاز - وذلك بعد تعزيزها بجيش مصر من قبل محمد علي في

(١) عبدالله العثيمين : تاريخ المملكة ج ١ ، ص ٢٤٢ .

(٢) أحمد زيني دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام - ط ١ - المطبعة الخيرية ، ١٣٠٥هـ ، ص ٣٠٨ و ص ٣٠٩ ؛ دلال محمد سليمان السعيد : علاقات الدولة السعودية الثانية بمشيخات الخليج خلال الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي ، ص ٦٩ .

(٣) من قبيلة بني مفيد في عسير . ولد في عام ١٢١٣هـ . حكم إمارة عسير حتى وفاته عام ١٢٧٢هـ ، ويعتبر هو المؤسس الأول لأسرة آل عائض في عسير .

(٤) أحمد باشا يكن : هو ابن أخت محمد علي باشا ، ولّاه حكم منطقة الحجاز بعد رجوع ابنه إبراهيم إلى مصر .

سنة ١٢٥٠هـ ، لكن هذا الجيش مني بهزيمة على يد أهالي عسير ، الذين أرسلوا بعض الغنائم هدايا للإمام فيصل^(١) .

وتصرفهم هذا دليل على الولاء الذي يكنونه للدولة السعودية ، والتبعية للإمام فيصل بن تركي .

أما محمد علي باشا فنراه في محاولة خبيثة مأكرة ، يفرج عن القائد عبدالوهاب أبو نقطة^(٢) الذي كان أسيراً في مصر منذ سقوط الدرعية وبيعته إلى الإمام فيصل بن تركي يطلب منه تزويد الجيش المصري في الجزيرة العربية ببعض ما يحتاج إليه ، ومن المرجح أن فيصلاً قد أدرك بأنه من الصعب عليه أن يساعد ذلك الجيش الذي سوف يستخدم ضده يوماً ما ، ثم كيف له أن يساعده ضد الثورة العسيرية التي تساند مبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب^(٣) .

وكما يقول ابن بشر : (يبدو أنه توقع من الإمام فيصل بن تركي الرفض ، أو التراخي ، فيتخذ ذلك ذريعة لتحرك القوات التي أعدها لمصاحبة خالد بن سعود ، وفرضه حاكماً على البلاد)^(٤) .

إلا أن الإمام فيصل بن تركي تنبه لهذه الخدعة ، والأسلوب الماكر فبادر بإرسال أخيه جلوي بن تركي^(٥) بهدية إلى أحمد باشا يكن ، على أن يستطلع له

(١) ابن بشر : عنوان المجد ج ٢ ، ص ٩٨ و ص ٩٩ .

(٢) وهو دوسري بن عبدالوهاب أبونقطة . نقله إبراهيم باشا في وقت حرب الدرعية إلى مصر .

ابن بشر : عنوان المجد ج ٢ ، ص ١٠٠ .

(٣) عبدالله العثيمين : تاريخ المملكة ج ١ ، ص ٢٤٢ .

(٤) عنوان المجد في تاريخ نجد ج ٢ ، ص ١٠٠ .

(٥) سمي جلوي بهذا الاسم؛ لأنه ولد أثناء جلاء أبيه تركي بن عبدالله عن الدرعية بعد سقوطها ، كناية عن الحالة التي ولد فيها . عبدالله العثيمين : تاريخ المملكة ج ١ ، ص ٢٤٢ . هامش رقم (١) ، ونجد لها دليلاً عند ابن بشر : عنوان المجد ج ٢ ، ص ٨١ ، حيث يقول : " لأنه ولد في جلوته من بلده " .

الأخبار من هناك ، وكان ذلك في أواخر سنة ١٢٥١هـ ، كما أبدى الإمام فيصل استعداداه في تدعيم علاقة الصداقة مع حكومة مصر ، لكن أحمد باشا لم يقتنع بذلك ، ولعله أوحى إلى جلوي بشيء من تعليمات محمد علي التي تنص على تعيين الأمير خالد بن سعود حاكماً على نجد^(١)، وفعلاً بدأت الحملة بالاستعداد للمسير بقيادة " إسماعيل أغا " والي المدينة المنورة ، وفشلت محاولات الإمام فيصل بن تركي في اقناع الحكومة المصرية بالتخلي عن خطتها مقابل أن يخضع هو نفسه لمطالبها ، ولذا راحت قوات مصر تتقدم صوب نجد^(٢).

ومن جهة أخرى فإن الأمير خالد بن سعود^(٣) تعهد لخورشيد باشا أنه في حالة تعيينه حاكماً على نجد سوف يقوم بمهاجمة إقليم عسير^(٤).

استمرت العساكر بالزحف نحو نجد حتى وصلت الرياض العاصمة لبلاد الإمام فيصل ، ولم يستطع فيصل أن يقاومها ، لأن بقية أهل نجد انقلبت عليه ، وفي مقدمة من انقلبوا عليه من البدو : عرب مطير ، وبعض عرب سبيع وقحطان ، حيث وقفوا بجانب العساكر المصرية ، فرأى الإمام فيصل أن يغادر العاصمة متجهاً إلى الأحساء^(٥).

ويذكر ابن بشر : (أن أهل الرياض أرادوا القبض على الإمام فيصل عندما أراد مغادرتهم ، غير أنه احتاط للأمر فخرج بحذر)^(٦).

(١) محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ٦٧ و ص ٦٨ .

(٢) ابن بشر : عنوان المجد ج ٢ ، ص ١٠٢ .

(٣) تذكر بعض المصادر أن والدته جارية حبشية . سعود بن هذلول : تاريخ ملوك آل سعود ، بدون ذكر لدار النشر - ط ٢ - الرياض ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ج ١ ، ص ٢٠ .

(٤) دلال السعيد : علاقات الدولة السعودية الثانية بمشيخات الخليج ، ص ٧١ .

(٥) سعود بن هذلول : تاريخ ملوك آل سعود ج ١ ، ص ٢٠ .

(٦) عنوان المجد ج ٢ ، ص ١٠٣ .

وفي الأحساء قدم إليه أميرها عمر بن عفيصان وبايعه ، كما بايعه رؤساء أهل الأحساء ، فأقام بها آخر عاشوراء وصفر وربيع من عام ١٢٥٣هـ^(١) .
ويعمل الدكتور عبد الفتاح أبو عليّة رحيل الإمام فيصل من الرياض إلى الخرج ، ثم إلى الأحساء وإقامته عند أميرها عمر بن عفيصان : أن معناه ضعف موقف الإمام وتراجعه أمام قوات محمد علي ، مما يدل على عدم اقتناعه بجدوى المقاومة^(٢) .

لكن قد يكون رحيل الإمام فيصل إلى الأحساء ؛ لأن ذلك الإقليم ليس فيه قوات لمحمد علي في ذلك الوقت ، فضلاً عن وجود قائده الشجاع عمر بن عفيصان أمير الأحساء هناك ، إضافة إلى أن في ذلك فرصة للإمام فيصل كي يعيد ترتيب قواته^(٣) .

ويذكر ابن بشر أن عيسى بن علي^(٤) توجه بحملة إلى الجبل بأمر من الحملة المصرية ، وذلك لإخضاع أميرها ابن رشيد ، فهرب ابن رشيد لما سمع بها ، لكنه ما لبث أن أخرجهم^(٥) .

وفعلًا احتلت العساكر المصرية الرياض في سنة ١٢٥٣هـ ، ونُصّب خالد بن سعود أميراً عليها من قبل مصر ، وخضعت له بلدان العارض والقصيم وسدير

(١) ابن بشر : المصدر السابق ج ٢ ، ص ١١٣ .

(٢) عبد الفتاح أبو عليّة : الدولة السعودية الثانية ، ص ٤٩ .

(٣) ربما أراد أن يكون في مأمن خلف صحراء الصمان ، أو أراد أن لا يُعرض البلاد إلى حروب جديدة خاصة وأن جروحها لم تتدمل ، خصوصاً بعدما جربت حرب الجيش المصري

القاسي ، بدليل أنه عاد إلى الميدان فيما بعد .

(٤) عيسى بن علي آل علي أمير الجبل سابقاً .

(٥) عنوان المجد ج ٢ ، ص ١١٤ و ص ١٠٥ .

والوشم وأظهرت العصيان له بلدان الحلوة والحوطة والحريق ، فزحف هؤلاء العسكر لقتالهم^(١) .

وكانت هذه الحملة العسكرية تضم (٧٠٠٠) جندي لتأديب الأهالي وإخضاعهم بالقوة في الجنوب ، لكن الأهالي ومنهم البدو والفلاحون انتظموا جميعاً في مقاومة بأسلة يقودهم رؤساؤهم مثل تركي الهزاني ، وإبراهيم بن عبدالله ، وفوزان بن محمد آل مرشد ، وكثيرون غيرهم واجهوا هذه الحملة بعزم وإرادة قوية لا تلين ففرقوا الحملة وشتتوها لتفادهم متجهة للرياض فاشلة خاسرة^(٢) .

ولما وصلت أنباء الانتصار على جند الترك إلى الإمام فيصل - وهو في الأحساء - قدم إلى الدلم ، فأسرع خورشيد وحاصرها أربعين يوماً حتى طال الحصار على أهلها ، ولما رأى الإمام فيصل معاناة أهلها ضحى بنفسه لانقاذهم ، فبعث إلى القائد العام خورشيد باشا^(٣) - الذي كان قد أتى إلى المنطقة منذ فترة ليكون قائداً عاماً لجيش محمد علي - وعرض عليه أن يسلم نفسه بشرط أن يصدر عفواً عن كافة المقاتلين ، ويتم تأمينهم على أرواحهم وأموالهم وأهليهم^(٤) .

وقبل خورشيد ذلك في ٢٣/٩/١٢٥٤هـ^(٥) وحمل الإمام فيصل أسيراً إلى مصر ومعه أخوه جلوي ، وابن أخيه عبدالله بن إبراهيم ، وولده عبدالله ومحمد ، تحت حراسة مشددة ، كما وصلت قوات محمد علي للأحساء ، وسيطرت عليه ،

(١) ابن بشر : عنوان المجد ج ٢ ، ص ١٠٦ .

(٢) عبدالفتاح أبو علي : الدولة السعودية الثانية ، الدارة ، العدد الأول ، ربيع أول ١٣٩٥هـ السنة الأولى ، مارس ١٩٧٥م ، ص ١٢٣ .

(٣) عبدالله حمد الحقييل : الإمام فيصل بن تركي ، الحرس الوطني ، ص ٤٢ : أحمد عسه : معجزة فوق الرمال ، ص ٣٦ .

(٤) عبدالله حمد الحقييل : الإمام فيصل بن تركي ، الحرس الوطني ، ص ٤٢ .

(٥) عبدالله الحقييل : الدورية نفسها .

وعيّنت الأمير أحمد السديري حاكماً عليها من قبلها ، ودخلت القوات كذلك القطيف وسيهات .

وبذلك أصبحت الجزيرة العربية تحت سيادة محمد علي باشا^(١).

حال الإمام في مصر :

عندما أرسل الإمام فيصل بن تركي إبراهيم أبو ظهير إلى خورشيد باشا طالباً الصلح ، أجابه خورشيد باشا إلى جميع طلباته مشروطاً سفر الإمام فيصل بن تركي معه إلى مصر ، حيث يستسلم هناك لحاكمها محمد علي باشا فيبقى لديه مع بقية أفراد البيت السعودي الموجودين في مصر^(٢).

وعلى هذا الأساس استسلم الإمام فيصل بن تركي لخورشيد باشا وصالحه على حقن دماء أهل الدلم وحفظ أموالهم ، وعلى سلامة جميع من كان معه من أهل العارض وغيرهم ، ثم دخل الإمام فيصل الدلم وقضى حاجاته منها ، ثم حضر إلى مقر خورشيد باشا وأقام عنده حوالي أربعة أشهر^(٣) ، جهز الباشا بعدها حسن اليازجي وجنوده وأرسلهم مع الإمام فيصل بن تركي ومن معه ووصل الجميع إلى مصر .

وكان الإمام فيصل وهو في منفاه بمصر يحيي معظم لياليه فيها بالتهجد

(١) عبدالفتاح أبو عليّة : الدولة السعودية الثانية ، الدارة ، الدورية السابقة ، ص ١٣٢ .

(٢) صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها -٠ بيروت ، لبنان: دار مكتبة الحياة (د.ت) ج ١ ، ص ٣٠٤ .

(٣) لويس شيخو اليسوعي : حول جزيرة العرب (٣) ، مجلة المشرق ، العدد ٣ مارس ١٩٢٠م ، ص ١٨ - ٠ ج ١٨٣ ؛ ج ١٠٠ . بيترسون : عمان في القرن العشرين ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية العدد ٣٢ ، جمادى الأولى عام ١٤٠٠هـ / أبريل ١٩٨٠م ص ١٤٥ - ١٥٩ ؛ جمال زكريا قاسم : موقف الكويت من التوسع السعودي في نجد وسواحل الأحساء ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد ١٧ ، ١٩٧٠م ، ص ٩٣ ، ص ١٣٧ .

والتضرع إلى الله لينعم عليه بنعمة الحرية والعودة إلى بلاده ، وكان يقضي نهاره في الصلاة وقراءة القرآن ، وعرف عند المصريين بالورع والتقوى ، فكان المرضى يأتون إليه إذا كان في أحد منهم ألم أو حمى أو غير ذلك يأتون إليه ليقرأ عليهم ، وكانوا يرون أثر الشفاء - من الله ثم - من قراءاته ودعائه لهم ، ومن أجل ذلك ازداد عندهم تكريماً وتعظيماً^(١) .

بل وصل بهم الأمر أنه لما خرج الإمام فيصل بن تركي من مصر أصبحوا يترددون على مكانه يزورونه ويستشفون به ، كما هي عادة من لم يتحقق التوحيد في قلبه^(٢) .

طريقة خروج الإمام فيصل من مصر :

الغريب أن طريقة هروب الإمام فيصل بن تركي من مصر في المرة الأولى عام ١٢٤٣هـ ، لم تثر فضول كثير من الباحثين والمؤرخين ، كما أثارته في هروبه للمرة الثانية مع أن أطماع محمد علي باشا لم تنته بعد كما في المرة الثانية ، فهروبه الأول أدعى للبحث من هروبه الثاني ، ولعل هذا راجع إلى أنه كان في هروبه الأول رجلاً ليس ذا أهمية سياسية ، فليس مستغرباً هروبه أسوة بغيره من آل الشيخ بعدما خفت عليهم المراقبة ، لكن في هروبه الثاني هرب وهو حاكم وأمير لنجد ، لذا كثرت التساؤلات هنا كيف هرب ؟ ومن ساعده ؟

- (١) ابن بشر : عنوان المجد ج ٢ ، ص ١٢٣ . الدكتور محمد بن عبدالله السلطان : الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية ، المطابع الوطنية للأفيت ، ط ١ ١٤٠٧هـ / ١٤٠٨هـ ص ١٤٠ . الدكتور منير العجلاني : تاريخ البلاد العربية السعودية الدولة السعودية الثانية ، دار النفائس ص ٩٩ . أحمد علي : آل سعود - ط ٣ - دار الشبل ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، ص ٩١ : صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ج ١ ، ص ٣٠٤ . عبدالفتاح أبو علي : الدولة السعودية الثانية ، ص ٢٣ .
- (٢) ابن بشر : عنوان المجد ج ٢ ، ص ١٢٣ .

الواقع أن المؤرخين والباحثين يختلفون في الإجابة على تلك التساؤلات اختلافاً لا يمكن التوفيق بينه ؛ فابن بشر يقول : (إن فيصلاً ومن معه نزلوا من الحبس بحبال عن طريق فرجة - في مكان سجنهم - تبعد عن الأرض أكثر من سبعين ذراعاً ، وكانوا قد أعدوا ركائب تحت فركبوها ، وذلك في الليل فساروا إلى جبل شمر)^(١).

ولقد نقل هذه الرواية عن ابن بشر كثير من الباحثين مثل المؤرخ أمين الحلواني في مختصره لتاريخ عثمان بن سند^(٢) ، وصلاح الدين المختار^(٣) ، وقلبي^(٤) ، وكذلك محمد بن عبدالله آل عبدالقادر في كتابه تحفة المستفيد^(*).

ورواية ثانية يوردها ضاري بن فهيد الرشيد هي : (أن أعرابيين جاء إلى مصر وحملوا الإمام ليلاً وهربا به إلى نجد)^(٥).

وهناك رواية أخرى تقول : (إن محمد علي - باشا مصر - هو الذي أطلقه من السجن) دون أن تذكر لنا أسباب ذلك^(٦).

وتأتي رواية رابعة تقول : (بأن عودة فيصل للحكم كانت بتأثير من المقيم البريطاني في الخليج - القائد هنل - الذي بعث برسالة إلى محمد علي يرجوه فيها أن يفرج عن فيصل، خاصة وأن حملة خورشيد باشا التي وجهت ضده قد انتهت)^(٧).

(١) عنوان المجد ج ٢ ، ص ١٤٥ .

(٢) هو عثمان بن سند البصري صاحب مخطوطة مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود ورقة ٣٩ .

(٣) تاريخ المملكة العربية السعودية ج ١ ، ص ٣١٨ .

(٤) هو عبدالله قلبي رحالة التقى بالملك عبدالعزيز رحمه الله في عام ١٩١٥م وأسلم وحج في عام

١٩٣٠م وله عديد من الكتب عن الجزيرة العربية وعن الملك عبدالعزيز ، وذكر ذلك في كتابه

(تاريخ نجد) معتمداً فيه على ابن بشر وابن غنام .

(*) القسم الأول ، ص ١٥٦ .

(٥) نبذة تاريخية عن نجد ، كتبها وديع البستاني ، ص ٣٤ .

(٦) دلال السعيد : علاقات الدولة السعودية الثانية بمشيخات الخليج ، ص ٨٤ .

(٧) محمد نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ١٠٨ وما بعدها .

أما الرواية الخامسة فتقول : (بأن هروب الإمام فيصل بن تركي من سجن مصر كان بمساعدة من (عباس بن طوسون بن محمد علي باشا) وكان الأمر حينذاك لمحمد علي وابنه إبراهيم ، وليس لعباس من الأمر شيء ، لكنه كان محبباً عند جده محمد علي ، ومسموع الكلمة عند رجال دولته ، وكان يجتمع كثيراً بفيصل في سجنه ، وتباحثا يوماً في أمور نجد ، فقال فيصل لعباس باشا : إن نجداً صارت بيد ابن ثنيان ، فلو أتخلص من الحبس وأصل إلى نجد ، أنتزع منه الملك إن شاء الله ، وقد وعده عباس باشا بتدبير هذا الأمر وهربه سراً بالليل ، ولم يعلم إبراهيم باشا بهروبه إلا بعد يومين ، فأرسل العسكر في إثره ومن ضمنهم عباس باشا ، حيث حاولوا اللحاق به ، ولكنهم لم يدركوه فرجعوا .

ذكرت هذه الرواية عدة مصادر مستندة إلى مخطوطة تحفة المشتاق لعبدالله البسام(*) وإلى مخطوطة مقبل الذكير الذي علل ذلك ، بأن عباساً علم أنه لم يبق لهم علاقة في بلاد العرب(**).

ومن المصادر التي قالت بهذه الرواية: سعود بن هذلول^(١)، وحافظ وهبة(***)، وبيلي ويندر (Bayly Winder) (****) ، وأحمد زيني دحلان الذي يذكر أن فيصلاً كان قد وعد عباس باشا بأنه سيصبح تحت إمرته ، فنفذ له هذه الخطة لإخراجه^(٢). وبالنسبة لرواية ابن بشر ، وخروج الإمام متديلاً بحبال ، فهي رواية لا يمكن

(*) مخطوط ، ورقة ١٢٧ و ١٣٨ .

(**) العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية ، ورقة ٧١ .

(١) تاريخ ملوك آل سعود ج ١ ، ص ٢٥ .

(***) جزيرة العرب في القرن العشرين ، ص ٢٢٤ . وعزا سبب هذه المساعدة إلى إعجاب عباس باشا الشديد بالإمام فيصل بن تركي وبعقليته الفذة .

(****) Winder : Saudi Arabia in The nineteenth Century , P 142 .

(٢) خلاصة الكلام ، ص ٢١٢ و ص ٢١٣ .

قبولها بشكلها، وهي لا تخلو من غموض ، فهروب أي أسير يكتشف عادة بعد ساعات قلائل ، ويجري تعقبه ، خاصة إذا كانت الدولة تخشى فراره^(١) ، ثم كيف يهرب الإمام فيصل ومن معه من السجن، ويمتطون الركائب دون أن يراهم الحرس^(٢). أما رواية ضاري الرشيد ، وهي مجيء أعرابيين إليه ، حيث حملاه إلى نجد ، فيرى البحث أنها خاصة بأسر الإمام فيصل الأول ، وحدث لبس فيها ، أما إيرادها هنا فنقول: إنه لم يحصل تواطؤ من الجميع حتى يتمكن الأعرابيان من دخول السجن ومن ثم إخراجهم إلى نجد .

أما الرواية التي تذكر أن محمد علي باشا ، هو الذي أطلق فيصل من سجنه ، فقد رد عليها الدكتور محمد عرابي نخلة برّدٍ منطقي وهو ، لماذا لم يرسله في موكب رسمي ؟ ولماذا جرى تهريبه بصورة سرية إذاً ؟^(٣) .

على أن الأستاذ الدكتور عبدالفتاح أبوعلية أيد هذه الرواية معللاً ذلك (بأن محمد علي يعلم أن عودة فيصل إلى الحكم مكسب له ؛ لأنه سيحافظ على العلاقات الودية مع ولاية مصر ، وانتقاماً من ابن ثيان^(٤)).

لكن ثمة جوانب لتعليلات الدكتور عبدالفتاح أبو عليّة السابقة، وهي أن سكان نجد جميعهم كرهوا حكم خالد بن سعود، لأنه حكم نجداً بتبعية لمحمد علي باشا ولأنه كان ذا ولاء تام لباشا مصر ، لذا ثارت عليه نجد كاملة ولم ترض بحكمه لها . وبهذا فإنه لا مدعاة للانتقام من ابن ثيان فحكم خالد زائل به وبدونه والحقيقة أنه تحصيل حاصل .

(١) محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ١٠٨ .

(٢) عبدالفتاح أبو عليّة : الدولة السعودية الثانية ، ص ٩٣ .

(٣) محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ١٠٨ .

(٤) تاريخ الدولة السعودية الثانية ، ص ٩٤ ؛ كما أيد هذه الرواية جبران شامية : آل سعود ماضيهم ومستقبلهم - لندن : رياض الريس ، ١٩٨٦م ، ص ٧٦ .

أما الحاميات المصرية الموجودة في نجد آنذاك ، فتذكر لنا الروايات أن محمد علي قد تقدم عمره واعتلت صحته ، منذ فشله في مواجهة التحالف الأوربي ضده عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م إثر معاهدة لندن ، وإجباره على الانسحاب من المناطق التي احتلها ، وإعطائه ولاية مصر فقط ولذريته^(١) .

لذا فإن انسحاب هذه الحاميات كان عملاً قد التزم به محمد علي في نصوص معاهدة لندن ، وكذا انسحاب جيوشه من كافة المناطق التي كانت تحت سيطرته ومن ذلك نجد^(٢) .

لذا يرى الباحث أن محمد علي لا يرجو من منطقة نجد خيراً ، لكي يطلق سراح الإمام فيصل خاصة بعد إجباره على الانسحاب منها ، وبعد أن ذاق أهل نجد الويلات من حملاته القاسية عليهم .

أما الرواية التي تجعل من تدخل المقيم البريطاني سبباً في إطلاق سراح الإمام فيصل ابن تركي ؛ فإنها مستبعدة ، فما فائدة الإنجليز من تولي فيصل حكم نجد ؟ وإذا كان الإنجليز يأملون أن يكون فيصل أفضل من ابن ثيان الذي يسعى للتوسع في الخليج ، فهل كان محمد علي يوافق على اقتراح هنل ؟ ذلك المقيم الذي وقف ضد توسع العثمانيين، المتمثل في تحركات جيوش محمد علي باشا في الخليج^(٣) .

لذا فإن الأقرب إلى نظر الباحث الرواية التي تذكر أن خروج فيصل كان بمساعدة من عباس باشا بن طوسون ، وذلك لعدة أسباب منها:

(١) الدكتور علي حسون : تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية - ط ٠١ - دمشق ، وبيروت: المكتب الإسلامي ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

(٢) علي حسون : المرجع نفسه .

(٣) محمد عرابي نخلة : تاريخ الأحساء السياسي ، ص ١٠٨ و ١٠٩ .

- ١ - عدم وجود أحد من المؤرخين قام بانتقادها .
- ٢ - لاتفاق الكثير من المصادر التاريخية عليها .
- ٣ - لا يستبعد وجود صداقة أو تعاطف بين الإمام فيصل وعباس باشا نتيجة زيارته له في سجنه .

كما أن الدكتور محمد عبدالله السلطان رجح هذه الرواية مدلاً على ذلك بقوله:

- ١ - ما رواه الأمير مساعد بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي عن عمته بنت الإمام فيصل بن تركي أن والدها كان يهدي الخيول إلى عباس باشا ويقول : " هذا صديقنا وساعدنا على الخروج من مصر " (١) .

- ٢ - تقرير السفارة البريطانية في إستانبول الذي جاء فيه أن عباس باشا سمح لفيصل بالهروب من مصر حيث توجه للقصور ، ومنها دعا رجاله إليه (٢) .
- ٣ - أن ابن بشر ركز في روايته على طريقة هروبه لا على من سمح له بالخروج ، فهي لاتعارض مع رواية ابن بشر (٣) .

ذكر لي زميلي الباحث بدارة الملك عبدالعزيز الأستاذ خالد بن أحمد السليمان : فيما تناقله الناس في صدورهم شفاهة - ومعلوم أن صدور الرجال مذكرات تاريخية غير مكتوبة - أقول : بأنه ذكر لي مايلي : " كان من أهم العوامل المساعدة على خروج الإمام فيصل بن تركي من مصر أنه كان يعمل في الطب المعتمد على التجبير وعلى قراءة القرآن الكريم ، وقد عالج الإمام فيصل ابنة عباس باشا بهذا العلاج وشفيت ، مما ولد صداقة بين الإمام فيصل بن تركي وعباس باشا أدت

(١) الأحوال السياسية في القصيم ، ص ١٤١ و ١٤٢ .

(٢) المرجع السابق نفسه .

(٣) المرجع السابق نفسه .

في نهاية الأمر إلى قيام الأخير بمساعدة الإمام فيصل بن تركي في خروجه من مصر إلى وطنه في نجد .

ومهما يكن من أمر فإن فيصلاً نجح هو وأخوه جلوي ، وابن عمه عبدالله بن إبراهيم ، وابنه عبدالله في الهروب من مصر والوصول إلى جبل شمر^(١).

المبحث الثاني - "بشائر السعد" :

- الطريق من مصر إلى جبل شمر .

- تولي الإمام فيصل بن تركي الحكم للمرة الثانية .

- الخاتمة .

الطريق من مصر إلى جبل شمر :

لقد كان طريق الإمام فيصل بن تركي إلى نجد عن طريق حائل ، وهذا أمر متوقع ، حيث إن نجد تحت حكم ابن ثيان ؛ لذا استوجب عليه جمع قوة قبل الذهاب إلى نجد .

وكان اختيار الإمام فيصل لطريق جبل شمر اختياراً طبيعياً ، حيث إن جبل شمر هو الطريق الطبيعي إلى نجد من الشمال ، إضافة إلى أن جبل شمر كان - في ذلك الوقت - مستقلاً عن حكم ابن ثيان ، بالإضافة إلى وجود صديقه عبدالله بن رشيد أمير الجبل ، فكان كل ذلك سبباً في التوجه إلى جبل شمر .

وكان طريق الإمام فيصل بن تركي إلى جبل شمر عبر وادي السرحان^(٢) شمال نجد ، الذي كانت تقطنه ولا زالت قبيلة الشرارات في عهود الدول السعودية الثلاث ، تتوارثه عن أسلافها بني كلب أسياذ بادية السماوة .

(١) ابن بشر : عنوان المجد ج ٢ ، ص ١٤٥ .

(٢) ويعرف أيضاً باسم وادي سرحان ووادي الأزرق ووادي النعيم ووادي السر ، وكنايته عند عامة البادية "موالغ الذيابة" .

وكانت العلاقات ودية بين الدولة السعودية الثانية وبين قبيلة الشرارات أيام الإمام فيصل بن تركي؛ إذ كانت قبيلة الشرارات من القبائل الشمالية الموالية للدولة السعودية^(١). وما كان ذلك إلا بعد مواجهات عديدة وممريرة في عقود ماضية قبل دخول منطقة الجوف ووادي السرحان ضمن الدولة السعودية الأولى ، فعند دخول جبل شمر في طاعة آل سعود اتجهت أنظارهم إلى ما يليه شمالاً من جزيرة العرب ، وقد بدأ نشاطهم بغارة على مجموعة من قبيلة الشرارات حول دومة الجندل - منطقة الجوف حالياً - بقيادة أمير جبل شمر في ذلك الوقت محمد بن عبدالمحسن بن علي^(٢)، ولم تتمكن من تحقيق مطالبها^(٣) فأعادت الكرة بقيادة محمد بن معيقل ومعه عدة قبائل ، وتمكنت بعد قتال عنيف من إدخال أكثر تلك البلاد تحت نفوذ الدولة السعودية الأولى^(٤).

وعلى هذا الأساس أصبحت تلك القبيلة موالية للدولة السعودية الأولى والثانية. وتولدت العلاقات الحميمة بين قادة الدولة السعودية وبين زعماء القبائل الموالية ومنها قبيلة الشرارات ، وشاءت قدرة الله أن يسلك الإمام فيصل بن تركي ومن معه طريق وادي السرحان إلى جبل شمر^(٥) ، وكان ذلك في عام ١٢٥٩هـ^(٦).

- (١) سليمان الأفنس الشراري : خلف بن دعيعاء الشراري ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ص ٣١.
- (٢) عبدالله العثيمين : تاريخ المملكة ج ١ ، ص ١١ و ص ١٢ . وكانت عام ١٢٠٦هـ .
- (٣) مجهول : كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب : تحقيق عبدالله العثيمين ص ١١٢ . أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري : آل جرياء في التاريخ والأدب - ط ٠٠ - الرياض : دار اليمامة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ص ٣٥ . عبدالله العثيمين : نشأة إمارة آل رشيد - ط ١ - مطابع الشرق الأوسط ، ١٤٠١هـ ، ص ١١ .
- (٤) عبدالله العثيمين : تاريخ المملكة ج ١ ، ص ١١١ و ص ١١٢ . وكانت في عام ١٢٠٨هـ .
- (٥) سليمان الأفنس : خلف بن دعيعاء الشراري ، ص ٣٣ .
- (٦) ابن بشر : عنوان المجد ج ١ . حوادث سنة ١٢٥٩هـ .

وقبل وصول الإمام فيصل بن تركي ورفاقه إلى الطبيق في وادي السرحان - بعد تجاوزهم لمعان - قادمين من ما عرف فيما بعد بشرق الأردن تعرضوا لسرقة مطاياهم ليلاً وهم نيام من قبل أدلائهم المرافقين لهم ، فساروا على أقدامهم متجهين شرقاً إلى وادي السرحان القريب منهم ، حيث كانت قبيلة الشرارات تتنقل وتستقر في بطن هذا الوادي حيثما يوجد الماء والكلاً .

ولما وصل الإمام فيصل بن تركي ورفاقه لهذه القبيلة وجدوا من رجالها كل حفاوة وتكريم ، وكل عون ومساعدة ، حتى وصلوا إلى الشيخ خلف بن دعيحاء^(١) الذي رحب بهم وأكرمهم وقوّى من عزائمهم في مواصلة المسير بهذا الطريق الشاق والطويل ، حيث جهّز للإمام فيصل ورفاقه عدداً من الإبل النجائب الأصيلة المعروفة من جيش الشرارات ببنات وضيحان ، وكلف عدداً من رجال القبيلة بمرافقتهم وحمايتهم من أخطار الطريق ، وليدلوهم على مسالك الطريق الصعبة الملتوية ، الذي يتخلله بحر من رمال النفود وطعوسها ، الذي كثيراً ماتمسح معالمه الرياح عندما تهب عليه ، إلى أن وصل الإمام فيصل بن تركي ورفاقه إلى جبل شمر .

وكان الطريق الذي سلكه الإمام فيصل بن تركي إلى جبل شمر بعد تجاوزه لصحراء سيناء وحدود الأردن عن طريق : (قرية كاف - قاعدة وادي السرحان في ذلك الوقت - وكانت إحدى الحاميات العثمانية ، ومروراً بالجفيرات فعدوانه - هجرة الشيخ محمد بن ضهيان الوردة المعروفة في وادي السرحان - فشقيق الذيب والأمغر، فأبار الميسري والنباج والجراوي وشغار والمروت ، فميقوع ودومة الجندل ، ثم الشقيق والعليم، فمورد سميحة فجبل أم سلمان ، ثم آبار جبة وعوطة ولقيطة فجبل شمر .

(١) خلف بن محمد بن دخيل الله بن دعيحاء ، من عائلة الدعاجين من فخذ الحلسة من قبيلة الشرارات ، تلك العائلة التي منها الشيخ محمد بن منوخ بن دعيحاء - شيخ فخذ الحلسة - الذي يقطن حالياً مدينة طبرجل بمنطقة الجوف .

وهذا الطريق ليس واضحاً جداً ، لأنه يخترق صحراء النفود (الخل) الذي كثيراً ماتضيع معاله عند هبوب الرياح ، فسالكه يحتاج لأدلاء لديهم الخبرة في اقتفاء الأثر ، ومهارة في معرفة الاتجاهات ومواقع النجوم ليلا ليهتدوا بها .
وركب الإمام فيصل بن تركي ومن معه حتى وصلوا جبل شمر^(١) .

ومما يؤكد مكانة آل سعود في نفوس أبناء تلك القبيلة وولاءها لهم أيضاً تلك العلاقة الحميمة التي تذكر بين الشاعر عايش الكذيبا^(٢) الشراري والإمام فيصل بن تركي ، حيث وردت الكثير من النصوص الشعرية والمواقف التاريخية التي أعلن فيها هذا الرجل وكثير من أبناء قبيلته الولاء التام للأسرة المالكة .

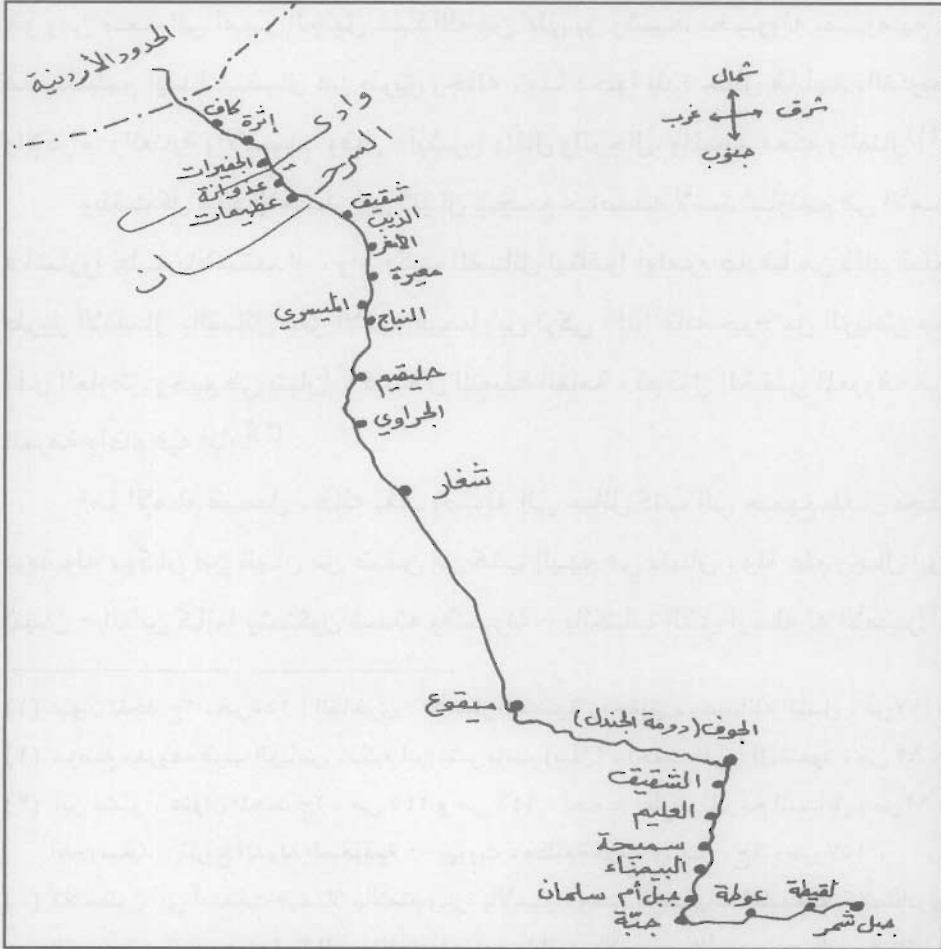
وليس هذا بمستغرب على أسرة نشرت الأمن والسلام في أرجاء البلاد وحفظت لأهل الود ودهم . ولا على قبيلة اشتهرت بحفظ العهود والمواثيق وظلت على تلك الصفة التي ورثتها عن سلفها بني كلب الذين حفظوا ودهم لبني أمية كما هو معروف في التاريخ .

بعد هذه الحادثة لم تسنح الفرصة للشيخ خلف بن دعيعاء بلقاء الإمام فيصل ابن تركي الذي انشغل بتوطيد حكمه في البلاد حتى سنة ١٢٦٢هـ وهي السنة التي توفي فيها الشيخ الشاعر الفارس خلف بن دعيعاء ، فكانت بذلك خاتمة هذه العلاقة الحميمة .
قلت : كان عيادة بن رخيص رسولا للإمام فيصل بن تركي إلى طوسون يحمل إليه الخيل والهدايا ، وكان هذا الرجل معاصراً لخلف بن دعيعاء ، وقد لجأ عيادة بن رخيص بابن دعيعاء لتزويجه بابنة عمه المدعوة نورة بنت عبدالعزيز بن فرحان بن

(١) عبدالله بن قاسم النواقي : قبيلة الشرارات بنو كلب ٠ - ط ١ - بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤١٥هـ ص ١٥٣ : سليمان الأفتس : خلف بن دعيعاء الشراري ، ص ٣٢ .

(٢) شاعر من فخذ العزام من قبيلة الشرارات معاصر للشيخ خلف بن دعيعاء ، وكانت له علاقة حميمة بالإمام فيصل بن تركي .

رمال ، الذي لبي له مبتغاه . فلربما يكون للإمام فيصل بن تركي دور في إرشاد عيادة بن رخيص إلى بن دعيحاء لطلب مساعدته في ذلك^(١) .



مخطط لطريق الإمام فيصل بن تركي أثناء عودته من مصر إلى جبل شمر .

(١) للاستزادة في ذلك راجع عبدالله بن خميس : من أحاديث السمر ، مجلة الإمامة ، العدد (٢٤٨) عام ١٤٠٥هـ تحت عنوان : خلف بن دعيحاء ، ص ٨١ .

تولي الإمام فيصل الحكم للمرة الثانية :

يذكر ابن بشر في حوادث سنة ١٢٥٩هـ أن الإمام فيصل سار إلى جبل شمر هو ومن معه إلى أمير الجبل عبدالله بن علي بن رشيد يخبرونه بقدمهم ، فاستقبلهم أيما استقبال عن طريق رجاله ، ولما دخلوا بلدة حائل قابلهم بالترسيم والإكرام، والعناية والاهتمام، وقال : أبشروا بالمال والرجال، والمسير معكم والقتال^(١). وبلغت كل هذه الأخبار ابن ثنيان فجمع خاصته لاستشارتهم في الأمر فأشاروا عليه بالاستعداد ، وأن يكتب للقبائل ليتلقوا أوامره هادفاً من ذلك قطع طريق الاتصال بالقبائل على الأمير فيصل بن تركي ، لذا فإنه خرج من الرياض مع أهل العارض وخيم في بنبان^(٢) كإعلان للتعبئة العامة ، ثم نزل الخفس المعروف في العرمة وأقام فيه أياماً^(٣) .

أما الإمام فيصل ، فإنه بعد وصوله إلى حائل كتب إلى جميع بلدان نجد بوصوليه ، وكان ابن ثنيان من ضمن من كتب إليهم في بنبان ، ولما علم رجال ابن ثنيان - الذين كانوا يشكون شدته وقسوته - بالكتاب الذي أرسله له الأمير^(٤)

(١) عنوان المجد ج ٢ ، ص ١٤٥ : الفاخري : الأخبار النجدية : تحقيق د. عبدالله الشبل ، ص ١٧٧ .

(٢) موضع معروف قرب الرياض ، ذكره ابن بشر باسم (ببان) . أحمد علي : آل سعود ، ص ٩٢ .

(٣) ابن بشر : عنوان المجد ج ٢ ، ص ١٤٥ و ص ١٤٦ : أحمد علي : المرجع السابق ، ص ٩٢ .

أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية - بيروت : مطبعة كرم ، (د.ت) ، ج ١ ، ص ١٥٧ .

(٤) تلاحظون أنني أسميت فيصلاً بالإمام وتارة بالأمير ، وهذه التسميات أملتتها عليّ مصادرني التي رجعت إليها ، فمنها مايلقبه بالإمام ، ومنها مايلقبه بالأمير ، والأرجح لدى الباحث تلقيبه بالأمير في الفترة التي سبقت توليه الحكم ، بينما تلقيبه بالإمام بعدما تولى الحكم وحتى توفي رحمه الله ، وفي واقع الأمر يعتبر لقب الحاكم السياسي هو (الشيخ) حيث كان البدو ينادونه بذلك أو بابن سعود . انظر الكولونيل لويس بيلي : رحلة إلى الرياض : ترجمة أحمد نوري الإبيش - ط ١ - دار دمشق ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ص ١٣٢ .

فيصل ، اعتبروا مجيء الإمام فيصل فرجاً لهم من هذا الرجل ، بل إن أكثرهم هرب إلى الإمام فيصل ^(١) .

وأدرك ابن ثيان أن الأمر أفلت من يده ، ولذلك عمد إلى سياسة المراوغة مع الإمام فيصل ، فكتب إلى أهل الرياض يبشرهم بوصول الإمام فيصل من مصر ، كما قام بإرسال الهدايا إلى الإمام نفسه مع علي بن عبدالله - أمير بلدة ضرمة - وليدس الدسائس للإيقاع به فاتفق مع أهل بريدة ضد ابن رشيد - الذي رحب بفيصل - لكن الله أبطل كيده بانضمام أهل عنيزة إلى فيصل وإلى ابن رشيد ^(٢) .

ولما توجه الإمام فيصل إلى عنيزة وعلم به ابن ثيان تقدم إلى طريقه يريد الانقضاض عليه ، لكن الإمام فيصل وصل عنيزة من طريق آخر ، وتفاعاً ابن ثيان بأصوات العرصة ورمي البنادق في عنيزة ، وإذا هي فرحاً بوصول الإمام فيصل إليها ، فلم يبق أمامه سوى العودة إلى الرياض ، ورجعت أعداد كبيرة من جيشه إلى الإمام فيصل أثناء عودته إلى الرياض ^(٣) .

اتجه الإمام فيصل - بعد ذلك - من القصيم إلى الوشم ، ثم إلى حريملاء ومن هناك كتب إلى ابن ثيان يدعوه إلى الصلح ، لكنه رفض ، فاقترب الإمام فيصل إلى أطراف الرياض التي كان أهلها يعانون من قسوة ابن ثيان ، فقاموا بتسهيل مهمة الدخول إلى الرياض لرجال الإمام فيصل ، الذين دخلوها بقيادة جلوي بن تركي ، ووقعت بينهم وبين رجال ابن ثيان مناوشات كانت فيها كفة القوتين معتدلة ،

(١) أحمد علي : آل سعود ، ص ٩٢ . عبدالفتاح أبو علي : الدولة السعودية الثانية ، الدارة ، العدد الأول ، ربيع الأول سنة ١٣٩٥هـ ، ص ١٣٥ .

(٢) ابن بشر : عنوان المجد ج ٢ ص ١٤٦ . أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ج ١ ، ص ١٥٧ : أحمد علي : آل سعود ، ص ٩٣ .

(٣) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ، ص ١٥٨ و ص ١٥٩ : أحمد علي : آل سعود ، ص ٩٣ .

حتى جاءت قوات جديدة من النواحي الجنوبية مدداً للإمام فيصل وعلى رأسها الشيخ - العلامة المجدد الثاني - عبدالرحمن بن حسن ، وحاول ابن ثيان - وقت ذلك - التسلل من قصره ، فرآه رجال من جند الإمام فيصل فقبضوا عليه وأدخلوه السجن حتى لقي حتفه^(١) .

ودخل الإمام فيصل الرياض في سنة (١٢٥٩هـ / ١٨٣٤م) وجلس في قصره وأقبل عليه أهل البلدة وبايعوه على السمع والطاعة^(٢) .

وهناك بهذه المناسبة السيد عبدالجليل - أحد أدباء البحرين - بقصيدة مطولة جاء فيها :

لقد من مولانا الكريم بفضلہ علينا من الإسعاد عوداً لما بيدي
أقامت لنا طيب البشارة بهجة وبشرى وأفراحاً تتيّف على العد
إمام أتاناً بالمسرة والهنا وبالعز والعدل العميم وبالرشد^(٣)

ثم سمح الإمام فيصل لرجال القبائل الذين اشتركوا معه في الأعمال الحربية بالعودة إلى ديارهم ، كما أطلق سراح جميع الذين ملأ ابن ثيان سجونه بهم ، ورد عليهم أموالهم التي اغتصبت منهم ، ففرحوا وعم السرور كل الناس .
وبعد استقرار الأمور وهدوء الأحوال أرسل الإمام فيصل نصيحة قيمة مطولة إلى جميع بلدان نجد ، قرئت في عموم مساجدها مراراً^(٤) .

(١) أمين سعيد : تاريخ الدولة السعودية ج ١ ، ص ١٥٨ و ص ١٥٩ . صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية ج ١ ، ص ٣٢٠ و ص ٣٢١ . سعود بن هذلول : تاريخ ملوك آل سعود ج ١ ، ص ٢٤ : أحمد علي : آل سعود ، ص ٩٣ .

(٢) ابن بشر : عنوان المجد ج ٢ ص ١٤٩ و ص ١٥٠ . الفاخري : الأخبار النجدية : تحقيق الشبل ص ١٧٧ . جبران شامية : المرجع السابق ، ص ٧٧ . أحمد علي : آل سعود ، ص ٩٣ .

(٣) أحمد علي : آل سعود ص ٩٤ .

(٤) راجع تلك القصيدة عند ابن بشر : عنوان المجد ج ١ حوادث سنة ١٢٥٩هـ .

وفي عام ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م لتسع بقين من رجب توفي الإمام فيصل بن تركي في الرياض رحمه الله ، وبذلك فقد التاريخ الحديث أبرز شخصية عرفها ، وتولى بعده ابنه الإمام عبدالله بن فيصل بن تركي^(١) .

الخاتمة :

إن شخصية الإمام فيصل بن تركي رحمه الله شخصية نادرة في كل شيء ، قلماً نجد مثلاً ، فكأنها - بل إنها - شخصية محاطة بسياج من العناية الربانية ، التي لا يضير معها كيد الكائدين إلا بإذنه سبحانه وتعالى .

ولا أدل على ذلك من هروبه من سجنه في مصر، عندما أسر صغيراً وقت غزو الباشا للدرعية ، وسقوط الدولة السعودية الأولى ، فقد استطاع الهرب رغم صغر سنه وقلة نضجه بالنسبة لأمثاله في العمر، ثم خروجه من الأسر للمرة الثانية التي أستبعد هروبه فيها هذه المرة كونه حاكماً سياسياً، ثم مساعدة الله له عندما سرقت مطاياه وتقطعت به الأسباب ، فاستطاع الوصول إلى جبل شمر سالماً بإذن الله .

ثم اجتماع أمر أمته عليه واستعادته الحكم الذي أخذ عنه أسيراً إلى مصر، كل ذلك كان عناية من الله به ، ليس للصدف مجال في ذلك كله ، فوفقه الله في حكمه حتى عده بعض مؤرخينا مؤسساً ثانياً للدولة السعودية الثانية .

والنصيحة القيّمة التي أرسلها إلى جميع بلدان نجد ، وأوصى بقراءتها في عموم المساجد بعد أن استتب له الأمر ، هي دليل واضح على ما يتمتع به هذا الإمام

(١) د . منير العجلاني: تاريخ البلاد العربية السعودية (عهد الإمام فيصل بن تركي) - ط١ - بيروت : دار النفائس ، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م ، ص ٢٤٣ .

من أمور الدين والدنيا فهو رجل دين ودولة : إنه يدعو إلى التوحيد وينهى عن الشرك ، ويذكر أركان الإسلام واحداً بعد الآخر ، ويرشد إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويرغب بالجهاد والجماعة والسمع والطاعة .

كما أنه يستشهد بالكثير من الآيات الكريمة التي توضح المعنى ، وتثبتته في أذهان الجميع .

وأما سقوط بعض حلقات حياة هذا الإمام وغموضها كهروبه من السجن ؟

ومن الذي ساعده على الفرار ؟ وكيف تم ذلك ؟

وما الطريق التي سلكها حتى وصل إلى الجبل ؟

فتلك أمور لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ، ثم هو ورفاقه .

مما جعل الرواة والمؤرخين كل يدلي بدلوه .

والحق أقول : إن هذه الشخصية تحتاج بعض حلقاتها إلى كثير بحث

وتمحيص كطريقة خروجه من مصر للمرة الأولى ، ومن ساعده في ذلك ، وما

الطريق التي سلكها ؟ إلى غير ذلك من الأمور الغامضة ، والحلقات المفقودة من

سجل ذلك الهمام .

وفي نهاية بحثي هذا أرجو من الله العليّ القدير أن أكون قد وفقت في

تحقيق هدفه ، ولا يسعني إلا أن أقول : إن الكمال لله وكتابه الكريم ، والعصمة

لملائكته وأنبيائه المرسلين ، وما أنا إلا عبد من عبيده أُصيب وأُخطئ ، فإن أصبت

فمن الله ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان .

وصلّى الله وسلّم على سيدنا ونبيّنا محمد وعلى آله وصحبه تسليماً كثيراً إلى

يوم الدين .

المصادر والمراجع

- أحمد عسة . معجزة فوق الرمال - ط ٣ - لبنان : المطابع الأهلية ، (١٩٧٢/١٩٧١م/ ١٣٩٢/١٣٩١هـ) .
- أحمد علي . آل سعود - ط ٣ - الرياض ، المملكة العربية السعودية : دار الشبل ، (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م) .
- أمين سعيد . تاريخ الدولة السعودية - بيروت ، لبنان : مطبعة كرم ، (د.ت) .
- البسام ، عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز (ت ١٣٤٦هـ) . تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق (مخطوط صورته بداره الملك عبدالعزيز بالرياض) .
- ابن بشر ، عثمان بن عبدالله (ت ١٢٩٠هـ) . عنوان المجد في تاريخ نجد : تحقيق محمد ابن ناصر الشثري - ط ١ - الرياض ، المملكة العربية السعودية : دار الحبيب ، (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) .
- البصري ، عثمان بن سند . مختصر تاريخ الشيخ عثمان المسمى مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود : اختصار : أمين بن حسن الحلواني المدني (مخطوط) صورته في داره الملك عبدالعزيز بالرياض .
- بوركهارت . مواد لتاريخ الوهابيين : ترجمة الدكتور عبدالله العثيمين - دون ذكر لدار النشر ومكانها - ط ٢ - (١٤١٢هـ / ١٩٩١م) .
- جبران شامية . آل سعود ماضيهم ومستقبلهم - ط ١ - الجمالية ، مصر : رياض الريس ، (١٣٠٥هـ) .
- ابن خميس ، عبدالله . من القائل أسئلة وأجوبة في الشعر .
- من أحاديث السمر . مجلة الإمامة ، العدد (٣٤٨) عام ١٤٠٥هـ .

- الذكير ، مقبل عبدالعزيز . العقود الدرية في تاريخ البلاد النجدية (مخطوط) - مكتبة معهد الدراسات الإسلامية في بغداد تحت رقم (٥٦٩-٥٧١) ، فيلم رقم ٥٣ ، وصورته موجودة في دارة الملك عبدالعزيز بالرياض .
- الرشيد ، ضاري بن فهد . نبذة تاريخية عن نجد ، كتبها : وديع البستاني - الرياض ، المملكة العربية السعودية : دار اليمامة ، (د.ت) .
- السعيد ، دلال محمد سليمان ، علاقات الدولة السعودية الثانية بمشيخات الخليج خلال الفترة الثانية من حكم الإمام فيصل بن تركي (١٢٥٩هـ - ١٢٨٢هـ) ؛ إشراف الدكتور عبداللطيف بن عبدالله بن دهش ، رسالة غير منشورة لنيل درجة الماجستير ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى (١٤٠٨هـ) .
- السلطان ، د . محمد عبدالله سليمان . الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية - ط ١ - المطابع الوطنية للأوقست ، (د.م) ، (١٤٠٧هـ / ١٤٠٨هـ) .
- الشراري ، سليمان الأفسس . نبذة من حياة الشيخ الشاعر خلف بن دعي جاء الشراري (مهودي على رؤوس الفطر) ١٢٠٣ - ١٢٦٢هـ / ١٧٨٨ - ١٨٤٥م - ط ١ - بيروت ، لبنان : مؤسسة الرسالة ، (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) .
- الظاهري ، أبو عبد الرحمن بن عقيل . آل جرباء في التاريخ والأدب - ط ١ - الرياض : دار اليمامة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- العثيمين ، د . عبدالله الصالح . تاريخ المملكة العربية السعودية - ط ٥ - مطابع الشريف (د.م) ، (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م) .
- _____ - نشأة إمارة آل رشيد - ط ١ - مطابع الشرق الأوسط ، ١٤٠١هـ .

- العجلاني ، د . منير . تاريخ البلاد العربية السعودية - ط ٠٢ - الرياض ، المملكة العربية السعودية : دار الشبل ، كذلك دار النفائس ، طبعة أخرى ونسخة أخرى ، (د.ت).
- العزيزي ، روكس بن زائد . الشرارات من هم ٩ - ط ٠١ - عمان ، الأردن : المؤسسة الصحفية الأردنية ، (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).
- د . علي حسون . تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية - ط ٠١ - دمشق ، وبيروت : المكتب الإسلامي ، (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م) .
- أبوعلية ، د . عبدالفتاح حسن . الدولة السعودية الثانية - ط ٠١ - الرياض : مطبعة المدينة المنورة ، طبعة مزيدة ومنقحة ، (١٤٠١هـ / ١٩٨٠م) .
- ابن عيسى ، إبراهيم بن صالح . تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان (من ٧٠٠هـ إلى ١٣٤٠هـ) - ط ٠١ - الرياض ، المملكة العربية السعودية : دار اليمامة ، (١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م) .
- الفاخري ، محمد . الأخبار النجدية : تحقيق الدكتور عبدالله الشبل (د.م) ، (د.ت).
- الكولونيل لويس بيلي . رحلة إلى الرياض في عهد الإمام فيصل بن تركي آل سعود رحمه الله ، مؤسس الدولة السعودية الثانية عام ١٢٨١هـ - ١٨٦٥م : ترجمة ، أحمد بن نوري الإبيش - ط ٠١ - سوريا : دار دمشق ، (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).
- مجهول ، كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب : تحقيق عبدالله العثيمين (بدون ذكر للدار) ، ط ٢ ، (د.م) ، (١٤١٤هـ) .
- المختار ، صلاح الدين . تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها - ط ٠١ - بيروت ، لبنان : دار مكتبة الحياة ، (د.ت) .
- نخلة ، د . محمد عرابي . تاريخ الأحساء السياسي (١٨١٨م - ١٩١٣م) ذات السلاسل ، (د.م) ، (د.ت) .

- النواقي ، عبدالله بن قاسم . قبيلة الشرارات بنو كلب - ط ١ - بيروت ، لبنان : مؤسسة الرسالة ، (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) .
- ابن هذلول ، سعود . تاريخ ملوك آل سعود (دون ذكر لدار النشر) - ط ٢ - الرياض ، المملكة العربية السعودية ، (١٤٠٢هـ / ١٩٨٠م) .
- وهبة ، حافظ . جزيرة العرب في القرن العشرين - ط ٥ - القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، (١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م) .
- Winder : Bayly , Saudi Arabia in The Nineteenth Century , New York , st Martin , s Press , 1965 .

الدوريات :

- ج . ي . بيترسون . عمان في القرن العشرين ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد ٣٢ ، جمادى الأولى ، عام ١٤٠٠هـ / أبريل ١٩٨٠م .
- جمال زكريا قاسم . موقف الكويت من التوسع السعودي في نجد وسواحل الأحساء ، المجلة التاريخية المصرية ، العدد ١٧ ، ١٩٧٠م .
- الحقييل ، عبدالله بن حمد . الإمام فيصل بن تركي ، الحرس الوطني ، العدد ٨٣ ، ذو الحجة ١٤٠٩هـ / يولية ١٩٨٩م .
- ابن خميس ، عبدالله . من أحاديث السمر ، مجلة اليمامة ، العدد (٨٤٣) عام ١٤٠٥هـ .
- أبو عليّة ، عبدالفتاح ، تاريخ الدولة السعودية الثانية ، الدارة ، العدد ١ ربيع الأول ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .
- د . محمد مرسي عبدالله . وثائق القلعة ، الوثيقة ، مركز الوثائق التاريخية بدولة البحرين ، العدد ١٦ ، السنة الثامنة ، جمادى الآخرة ١٤١٠هـ / يناير ، ١٩٩٠م .
- اليسوعي ، لويس شيخو . حول جزيرة العرب (٣) ، مجلة المشرق ، العدد ٣ ، مارس ، ١٩٢٠م .